مؤسسات الريادة قاطرة إصلاح المنظومة التربوية ببلادنا

الدكتور رزوقي محمد
رئيس قسم التعليم
مركز إنماء للدراسات والأبحاث
المغرب

استحضارا لنتائج مختلف التقويمات الوطنية والدولية التي أبانت ضعف تحكم تلامذتنا وتلميذاتنا في التعلمات الأساس، ولخلاصات المشاورات المحلية والإقليمية والجهوية والوطنية حول تجويد المدرسة العمومية، شرعت وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة في تفعيل مشروع "مؤسسات الريادة" بسلك التعليم الابتدائي العمومي خلال الدخول المدرسي للموسم 2023/2024، على أن تعمل به في مؤسسات التجريب بالتعليم الإعدادي خلال الموسم الدراسي 2024/2025. ويندرج العمل بمشروع "مؤسسات الريادة" في إطار تفعيل مجموعة المشاريع التربوية التي تروم تنزيل خارطة الطريق 2022-2026. ويهدف إلى بناء مدرسة عمومية ذات جودة للجميع، تتغيى الرفع من مستوى التعلمات الأساس لذى التلميذات والتلاميذ، باستثمار ما توصلت إليه الطرائق والمقاربات البيداغوجية الحديثة.

يهدف هذا المشروع إلى رسم معالم المدرسة العمومية وفق مقاربة تشاركية تستجيب لانتظارات المتعلمات والمتعلمين وأسرهم والأطر الإدارية والتربوية، وذلك من خلال التحكم في التعلمات الأساس والرفع من جودتها، والتمكن من الكفايات المرتبطة بها، والحد من الهدر المدرسي، وتعزيز تفتح وانفتاح المتعلمات والمتعلمين.

ويروم نموذج "مؤسسات الريادة" إحداث ثورة جدرية في أداء المؤسسات التعليمية، وذلك من خلال الانخراط الطوعي للفريق التربوي، وتوفير الموارد المادية والبيداغوجية واللوجستيكية والوسائل التكنولوجية اللازمة، وإرساء نظام للتكوين الإشهادي والتأطير عن قرب، وذلك بهدف تمكين الأستاذات والأساتذة من اعتماد أنجع وأجود الممارسات الصفية، مع التأكد من مدى تحقيقها للأثر المنشود داخل الفصول الدراسية. علما أن عملية تحسين جودة تعلمات التلاميذ والتلميذات يتم قياسها وتتبعها بصفة دورية ومنتظمة من خلال تقييمات موضوعية.

وقد تم تجريب هذا المشروع في مرحلة أولى في 628 مؤسسة تعليمية ابتدائية عمومية بعضها في الوسط الحضري وشبه الحضري وعينة أخرى بالوسط القروي، حيث استفاد من هذا المشروع ما مجموعه 322 ألف تلميذا وتلميذة، وبانخراط طوعي لطاقم تربوي يقدر بـ 10700 أستاذ وأستاذة، وبتأطير ومواكبة من هيئة التفتيش والمراقبة تقدر بحوالي 158 مفتشا ومفتشة تربويا، وذلك في انتظار التعميم التدريجي لهذا المشروع الحكومي على جميع المؤسسات التعليمية العمومية الابتدائية في أفق 2028/2027.

وقد تمت هندسة مشروع "مؤسسات الريادة" وفق هندسة بيداغوجية تضمن التكامل بين أربع مكونات مهيكلة، تعني بالمحاور الثلاثة لخارطة الطريق 2026/2022؛ بحيث يشمل مجال التدخل كلا من "التلميذ والأستاذ والمدرسة". فبالنسبة للمجال الأول الذي يستهدف المتعلم والمتعلمة، فهو ذو بعد علاجي. يهدف إلى معالجة التعثرات الأساسية لدى التلاميذ والتلميذات في مكوني الحساب والقراءة باللغتين العربية والفرنسية، من خلال إنجاز الدعم التربوي بالتعليم الابتدائي باعتماد مقاربة التدريس وفق المستوى المناسب (TaRL) المعتمدة والمجربة من طرف منظمة PRATHAM الغير حكومية بدولة الهند، والتي بينت نجاعتها من

خلال التجريب الميداني. ويُمكن هذا المكون جميع التلاميذ والتلميذات من الاستفادة من الدعم التربوي اليومي خلال الشهر الأول من السنة الدراسية، ومن حصص الدعم الأسبوعية طيلة السنة الدراسية بالنسبة للتلاميذ والتلميذات المتعثرين والمتعثرات، بناء على نتائج روائز قبلية تم اعتماد نتائجها كمنطلقات منطقية لتنزيل المشروع. بحيث يتنوع الدعم بين دعم مندمج داخل الزمن المدرسي ودعم تربوي إضافي مؤدى عنه خارج الزمن المدرسي حسب الحاجة. وذلك بهدف التغلب نهائيا على صعوبة التعلم التي تعيق عملية التعلم لدى مجموعة من التلاميذ والتلميذات.

بينما تم تبني مقاربة التدريس الفعال خلال مرحلة إرساء الموارد وهي ممارسات صفية ناجعة، أثبت التنزيل دورها الكبير في بصم أثرها الإيجابي على التعلمات، وهو ذو بعد وقائي، وتهدف هذه الممارسات إلى التدرج في بناء المكتسبات وتلقينها، حيث لا يتم الانتقال من المرحلة الحالية إلى المرحلة الموالية من الدرس، إلا بعد التأكد من أن جل التلاميذ والتلميذات قد تمكنوا من المرحلة السابقة واستوعبوها. وتتغيى هذه المقاربة "الوقائية" تفادي تراكم التعثرات. كما يعتمد على التخصص، وإن كان اختياريا فإنه ذو بعد تربوي تنظيمي بالأساس. بحيث يرتكز على التدريس بالتخصص بالتعليم الابتدائي، بما يتناسب مع تخصص التكوين والمهارات التي يتمتع بها كل أستاذ وأستاذة، وذلك للاستفادة القصوى من كفاءاتهم ومن الزمن المدرسي، ويتم تنزيل هذا المكون بصفة اختيارية بالنسبة للفريق التربوي، وحسب خصوصية كل مؤسسة تعليمية.

فيما يروم المجال الثاني تمكين الأساتذة والأستاذات من تكوين متين، ومواكبة صفية منتظمة، إضافة إلى الوسائل والموارد البيداغوجية اللازمة لذلك، وحاسوب مهني محمول، علاوة على استفادة الفريق التربوي من تحفيز مادي فردي يبلغ 10000 درهم صاف سنويّ للعضو الواحد.

أما المجال الثالث الذي هو المؤسسة وهو مرتبط بتسيير المؤسسة التعليمية، فإنها ستستفيد من تأهيل الفضاءات وخاصة ما تعلق منها بالظروف المادية (من أقسام ومرافق صحية، وأمن، ونظافة، وجودة التجهيزات وتوفير العتاد الديداكتيكي) فإنه تم تجهيز كل فصل دراسي بمسلاط ضوئي عاكس وسبورات جانبية إضافة إلى شاشة عاكسة ومكتبة صفية. ناهيك عن علامة الجودة التي ستسعى المدارس الرائدة للحصول عليها عند نهاية كل موسم دراسي، وهي التي ترتبط بها منحة التحفيز الخاصة بالأطر العاملة بالمؤسسة. أي أنه يروم العناية بالفضاء الداخلي والخارجي للمؤسسة لجعلها أكثر جاذبية ومحفزة على العطاء واستمرار المردودية. وتعيين عون إداري بالمؤسسات التي يفوق عدد التلاميذ بها 500 تلميذ وتلميذة. كما ستستفيد المؤسسات المنخرطة من منحة مالية من أجل تنزيل مشاريعها المندمجة في حدود 100000,00 درهم.

وبعد تنزيل وأجرأة هذه المكونات يتم تتويج المؤسسة المعنية بشارة "مؤسسة الريادة". وذلك وفق مستويات ثلاث؛ أولها المطابقة، وتتم المصادقة عليه بعد أجرأة المكونات الأربع وهو ما يخول لكل عضو من أعضاء الفريق التربوي للمؤسسة الحصول على المنحة السنوية المقررة. وثانيها مرتبط بتحسين مستويات الأداء الخاصة بمعايير شارة "مؤسسة الريادة". أما ثالثها فيرتبط بمستوى الاستدامة.

وبعد المرحلة الأولى وهي مرحلة التجريب على عينة من المدارس الابتدائية العمومية التي عبرت عن رغبتها في الانخراط الطوعي في المشروع، تأتي مرحلتي التقييم ثم التوسيع بناء على النتائج المحصلة.

وفي هذا السياق أكد المؤطر التربوي ع.د على أهمية نموذج مؤسسات الريادة الذي يعد مشروعا وطنيا، تم بناؤه بشكل تشاركي مع جميع الفاعلين التربويين وشركاء المنظومة التربوية وفق منهجية تشاركية. وأن هناك ارتياحا كبيرا لدى جميع الفاعلين على النتائج الايجابية التي تم تحقيقها، مؤكدا على ضرورة العمل الجماعي من أجل تطوير هذا النموذج وتعميمه. من جانبه أكد ح.أ مدير مؤسسة التجريب بمديرية بني ملال أن مشروع "مؤسسات الريادة"، تجربة تربوية ناجحة تستحق التعميم، وقد لامسنا أثرها على المستوى

التحصيلي للمتعلمين". كما أنها وفرت الظروف المادية والبيداغوجية اللازمة لتيسير عمل الأطر التربوية العاملة بالمؤسسة من خلال تأهيل فضاءات المؤسسة وتجهيزها بالوسائل الضرورية للاشتغال، حيث تم تحديد المدرسة مع توفير المعدات اللازمة مثل المسلاط، السبورات وشاشات العرض العاكسة للمسلاط، كما تم تزين المدرسة وصباغتها. أما ع.ق أستاذ بذات المؤسسة فقد أكد على أن الاستفادة من الدورات التكوينية التي مزجت بين النظري والتطبيقي ساهمت في الرفع من القدرات المهنية للأطر التربوية العاملة بالمؤسسة، كما أن اعتماد التدريس وفق مقاربة المستوى المناسب (TaRL)[1]، أعطت نتائج إيجابية ووفرت العتاد الديداكتيكي وأهلت فضاء المؤسسة، وتهدف هذه المقاربة إلى معالجة التعثرات عند التلاميذ وتحسين تحصيلهم الدراسي. كما أن هذا النموذج سهل على الأساتذة منهجية تحضير وبناء وتقديم الدروس وفق مقاربة ناجعة. هذه الشهادات الحية التي قدمها فاعلون تربويون ومتدخلون ساهموا في تنزيل هذا المشروع ميدانيا على مستوى مؤسسات التجريب، خلقت لدى الفاعلين رغبة في احتضان هذه التجربة بمؤسساتهم.

ومن أجل إرساء نموذج المدرسة المغربية الرامية إلى توفير الظروف المناسبة للتعلم واعتماد طرائق ناجعة للرفع من جودة التعلمات الأساس ومستويات التحكم فيها، سيتم العمل بالتوسيع التدريجي لنموذج "مؤسسات الريادة"، ابتداء من الموسم الدراسي 2025/2024 بحيث سينتقل عدد مؤسسات الريادة من 626 خلال الموسم 2024/2023 إلى 2000 مؤسسة عمومية في موسم 2025/2024، على أن تضاف 2000 مؤسسة كل سنة في أفق التعميم، وذلك لتمكين التلميذات والتلاميذ من استكمال مسارهم الدراسي.

وبعد التقييم الأولي للنتائج المتحصلة من التنزيل التجريبي لمؤسسات الريادة بالتعليم الابتدائي، بادرت وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة إلى استصدار المذكرة رقم 138/24 بتاريخ 18 مارس 2024 في شأن توسيع المشروع نحو الإعدادي بالشروع في تنزيل برنامج "إعداديات الريادة". وهو مشروع جديد تجريبي في هذا السلك يروم "مضاعفة نسبة المتحكمين في التعلمات الأساس، وتخفيض ظاهرة الهدر المدرسي بالثلث، وتقليص نسب التكرار، وتوظيف أمثل للموارد الرقمية عبر الفصول الرقمية (PPN) لتحسين مستوى التعلمات في مواد الفرنسية والرياضيات وعلوم الحياة والأرض وإلى تعزيز الانفتاح والمواطنة بتوسيع الاستفادة من الأنشطة الموازية لتشمل نصف عدد التلاميذ". ويعتبر برنامج "إعداديات الريادة " أحد الآليات الأساسية للأجرأة الميدانية لخارطة الطريق 2026/2022 على مستوى السلك الثانوي الإعدادي. وسيشمل هذا البرنامج في مرحلته الأولى نحو 230 ثانوية إعدادية للرّيادة بالتعليم العمومي مع مطلع شتنبر 2024، مقترحة من الأكاديميات الجهوية بناء على معايير محددة. ويتم تنزيل هذا البرنامج بناء على التزام تعاقدي بين كل المتدخلين الفاعلين داخل المؤسسة المستهدفة. وتهم هذه الالتزامات محاور البرنامج الأربعة وهي على التوالي: محور إعداد وتنفيذ مشروع المؤسسة المندمج، ومحور توفير معالجة وقائية ودعم ومواكبة شخصية التلميذ، ثم محور مواكبة الأساتذة وتمكينهم من الممارسات البيداغوجية الناجعة، وأخير محور تعزيز تفتح التلاميذ ونموهم الذاتي من خلال الأنشطة الموازية والرياضية. وتستفيد المؤسسات المنخرطة في البرنامج من دعم يمكنها من تحسين ظروف الاستقبال والعمل يتمثل في إعادة التأهيل والتجهيز وإنشاء فضاءات مخصصة لعمل الفريق التربوي خارج الفصول الدراسية وكذا لإنجاز الأنشطة الموازية. هذا بالإضافة إلى رصد ميزانية تكميلية لتمويل مشروع المؤسسة المندمج يصرف بحسب عدد التلاميذ في حدود 200000.00 درهم، كما يمكنها من الحصول على شارة الريادة. وتستفيد الأطر التربوية بالمؤسسة من تكوين مستمر إشهادي حول المقاربات البيداغوجية والتدبيرية المعتمدة بشكل رسمي، ومواكبة ميدانية عن قرب، وتمنح لمختلف الفاعلين تحفيزات مادية ومعنوية. كما تخصص للأساتذة حواسيب محمولة وتجهز القاعات بمسليط عاكسة ومكتبات صفية. هذا بالإضافة إلى استفادة المؤسسة من منحة مالية تكميلية مخصصة للدعم التربوي الذي ينجزه الأساتذة خارج حصص تدريسهم الرسمية.

إن نموذج "مؤسسات الريادة" جاء ليجيب على التحديات التي تعرفها المنظومة التعليمية بمكوناتها الثلاثة: التلميذ(ة)، الأستاذ(ة)، المدرسة، بحيث أن التلاميذ والتلميذات يعانون من ضعف التحكم في التعلمات ومن تراكم التعثرات، بينما يعاني الأساتذة والأستاذات من ضعف التكوين والمواكبة ونقص في الموارد البيداغوجية فيما تعاني المؤسسات التعليمية من عدم توفر البنيات المادية المناسبة. هذه الوضعية الصعبة كان من نتائجها أنه 30 في المائة من التلاميذ فقط هم من يتحكمون في المقرر الدراسي عند استكمال التعليم الابتدائي، وتذييل دولة المغرب في الرتبة 75 من أصل 79 (PIRLS). وهذا ما أكدته نتائج الروائز التقييمية القبلية التي أنجزت في شتنبر 2023 والتي شملت 300 ألف تلميذة وتلميذا في مؤسسات الريادة. وكذا التقييمات الوطنية والدولية خاصة منها PISA 2018 (نسبة التلاميذ المتوفرين على الحد الأدنى من الكفايات) وPNEA 2019(البرنامج الوطني لتقييم المكتسبات). وتتغيى هذه التجربة تمكن 70% من المتعلمين من التعلم الأساس فكان الهدف هو تجاوز هذه التعثرات وبناء مدرسة عمومية جذابة وذات جودة.

الهوامش:

[1]- T= Teaching ; a= at ; R= rigth ; L= level